

المملكة أكثر ضعفاً: والمناشير تلاحق ولي عهدها

لم تَعُدَّ السعودية كما كانت حتى وقت قريب. قدرتها على ابتياع المواقف وشراء الولاءات باتت أضعف من ذي قبل.

صحيح أن ولي العهد الجديد، محمد بن سلمان، تمكّن في الأشهر التي أعقبت تسلّمه منصبه، من تحقيق التفاف إعلامي عالمي حول «قيادته الفذّة» و«رؤيته الإصلاحية»، إلا أن استحقاقات متتالية جاءت لتكشف هشاشة الهيكل الذي أسّس له. هشاشة بلغت أقصى درجات انفصاحها مع توالي فصول «أزمة خاشقجي»، حتى أضى الرجل الذي لا يقبل ولو انتقاداً من داخل المنظومة أو مجرد «نصيحة من مُحبّ»، يبحث عمّن يتبرّع له باستقبال في هذا الظرف الحرج.

قد لا يكون من المبالغة القول إن ردود الفعل الصادرة من المغرب العربي على الجولة الخارجية لابن سلمان تشير إلى انقلاب حقيقي في صورة المملكة التي لطالما ملأ الحديث عن «مكانتها» الآفاق. من تونس إلى الجزائر وموريتانيا، تعلو الأصوات المُنذّرة بـ«مجرم الحرب»، والداعية إلى عدم استقباله. يذهب تونسيون وجزائريون إلى أبعد من ذلك برفضهم «تدنيس أرض الثورة» وبلد «المليون شهيد»، فيما تتصاعد

في نواكشوط — التي أدخلها محمد ولد عبد العزيز في المعسكر السعودي — المطالبات بعدم منح «خادم الصهاينة» فرصة تبييض صورته.

أما المغرب، الذي امتنع إلى الآن عن إصدار أي تعليق داعم للسعودية بشأن مقتل خاشقجي، فيغيب عن مشهديات الزيارات المحتملة، في استثناء لا يخلو من دلالات، فيما تستقبل مصر، «مأمونة الجانب» بالنسبة إلى ابن سلمان، الأخير على خَفَر، ويلتزم الأردن الصمت كأن «على رأسه الطير». حتى الحليف الأقرب للأمير الشاب، ولي عهد أبو ظبي، لم يُخرج رأسه من الرمال إلا بعد أن قدّم الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، خلاصته النهائية حول حادثة القنصلية.

قبل تلك الأزمة، كان ابن سلمان يعتقد أن رفع صورته في ملاعب البصرة سيفتح له أبواب إعلاء كلمته في العراق، لتأتي استحقاقات ما بعد الانتخابات النيابية وتثبت أن أسلوب «وان واي تيكنت» أصبح من الزمن الغابر.

في اليمن، لم يعد ثمة شكّ في أن السعودية باتت المكروه الأول هناك، حتى من قبيل من كانوا يوماً ما في صفّ حلفائها، فيما تكاد «الجارّة المتمرّدة» — أي قطر — لا تأخذ زَفَساً في «حربها» على قائد مقاطعتها. تساندها في ذلك تركيا، التي لا يبدو أنها تريد طيّ القضية قبل أخذ «ثأرها» ممّن أطلق حرباً ضد معسكر «الإخوان»، وأراد احتكار الوكالة الأميركية لنفسه. على المقلب الغربي، لا يبدي الأوروبيون — باستثناء فرنسا — حماسة كبيرة لـ«حفظ رأس» ولي العهد السعودي، في وقت تدّسع فيه دائرة الرفض الأميركي الداخلي للتعامل مع نجل الملك وكأنّ شيئاً لم يكن. وحده دونالد ترامب يرفع لواء الذود عن ابن سلمان، اعتقاداً منه بأن الأخير «لُفْطَة» لا تُعوّض، لكن هذا الدفاع المستميت يبدو اليوم محاطاً بموجة من ضغوط «الدولة العميقة»، التي قد تؤدي إلى إبطال مفعوله، وتضييع آمال العهد «السلما ني».